تبدأ الحياة المتحولة بالتحويل الأكثر أهمية

التحوُّل العظيم
(رومية ٦)

تأليف: تومي ساوث

يمكن أن تحدث تحولات عظيمة في عالمنا اليوم. تدير مياه الشلال عجلة المحرك الذي يحول تيار الماء إلى طاقة كهربائية. الذرات وهي وحدات متناهية في الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، ولكن يمكن تحويلها إلى أسلحة نووية قادرة على تدمير مدن برمتها. اصبح بامكان المرأة أن تذهب إلى الصالون لتصبغ شعرها، وتذهب إلى طبيب لإجراء جراحة التجميل، وإلى طبيب الأسنان لتركيب أسنان جديدة وإلى مكان انقاص الوزن لتحصل على مظهر جديد، يا لها من تحولات عضيمه!

ولكن الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية يتحدث عن التحول الأعظم. يحدث التحول العظيم عندما يصير الشخص مسيحياً، وقبل يكون خارج نعمة الله؛ وأما كمسيحي فهو ابناً لله. كان قبلاً محروماً من البركات الروحية في المسيح، ولكن بعد أن يصير مسيحياً ينال جميع البركات الروحية في المسيح. يكون قبلاً مُدان، ولكن تعطي له حياة أبدية في ما بعد. الشيء الأكثر اعجاباً في هذا التحول العظيم هو انه حدث كل هذا بغض النظر عن انه كان مغلوب على أمره ولم يكن في استطاعته ان يساعد نفسه، بل نال الخلاص كعطية من الله!

حتي نستطيع ان نقدّر مدى التحول الذي يحدث عندما يصير الشخَص مسيحياً، يجب أن نفهم ذلك الإنسان الخاطيء، لكي يكون مقبولاً في السماء، يجب أن يتغير. يجب ان يتحول ابن الشيطان الخاطيء الملتوي ليكون ابناً محبوباً باراً ومطيعاً لله. بنعمة الله يحدث هذا التحول: استطاع سمعان الغيور ومتى العشار ان يكونا تلميذين مكرسين؛ ويمكن لشاول المضطهد أن يكون بولس المبشر؛ ويمكن ليوحنا ابن الرعد ان يكون رسول المحبة. كان البعض من أهل كورنثوس « زُناة ... عبدة أوثان ... فاسقون ... مأبونون ... مضاجعو ذكور ... سارقون ... طماعون ... سكيرون ... شتامون ... خاطفون » (١ كور ٦: ٩-١١) ومع ذلك يمكن أن يصيروا « كنيسة الله » و« قديسين » (١ كور ١: ١ و٢).

يخبرنا الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية بثلاث حقائق عن هذا التحوُّل.

ما هو التحوُّل؟

يصف الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية مدى التحول.

كنا في الخطية، وأما الآن فنحن أمواتا عنها. طرح بولس السؤال: « أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ » ثم أضاف: « حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟ » (رومية ٦: ١ و٢). وتقول الآية ١١ أيضاً بانه يجب أن نعتبر أنفسنا « أمواتاً عن الخطية ».

كنا عبيدا للخطية، وأما الآن فأحرار من الخطية. عندما تم خلاصنا يقول بولس « أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية » (رومية ٦: ٦ و٧). خُلصنا « كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية ». وفي ما بعد، يخبر بولس أهل روما بانهم كانوا « عبيداً للخطية » ولكنه أضاف قائلاً بانهم حُرِروا من الخطية (رومية ٦: ١٧؛ ٦: ٢٠ و٢٢).

رغم ان الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية يقول باننا حُرِرنا عندما صرنا

مخلصين (أنظر يوحنا ٨: ٣٢)، إلا ان هذا الأصحاح لا يقول باننا قد حررنا من كل شيء، بل صرنا «عبيداً للبر» (رومية ٦: ١٨) و«عبيداً لله» (رومية ٦: ٢٢). لا يوجد شيء يسمى حرية مطلقة. لا يختار الناس بين الحرية والعبودية، بل يختارون واحدة من الاثنتين يصيروا عبيداً لها. من يؤمن بعبادة اللذة أو السعادة ويعيش فقط للمتعة ويخيل نفسه إنساناً متحرراً كلياً ما هو إلا عبداً لشهواته.

ولكن قد يسال السائل: إذن ما هي الأفضلية التي يحظى بها المسيحي؟ لماذا تصير مسيحياً إن كنت ستبقى عبداً؟ كان بولس يتوقع هذا السؤال فأعطى الإجابة التالية:

> لأنكم لما كنتم عبيد الخطية، كنتم أحراراً من البر. فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن؟ لأن نهاية تلك الأمور هي الموت. وأما الآن إذ أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية. لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا (رومية ٦: ٢٠-٢٣؛ أنظر أيضاً ٦: ١٦).

عندما يختار الشخص أن يتبع المسيح، لا يختار حرية تامة من كل المحرمات أو من السلطة، وإنما يختار أن يكون عبد الله. لماذا يختار هذا؟ من أجل المكافأة! عندما يكون الشخص عبداً للبر يحصل نتيجة لذلك على حياة أبدية. وإذا بقى عبداً للخطية، لا يحصل على شيء غير الموت! لمن تريد أن تكون عبداً؟

قبل حوالي ألفين سنة أصدر يسوع أعلان التحرير الروحي معطياً فرصة الخلاص لجميع الناس!

كنا عبيداً لأنفسنا، وأما الآن فنحيا حياة جديدة. أوضح بولس بان: «إنساننا العتيق قد صُلب معه» (رومية ٦: ٦)، بعد ما قال باننا خلصنا كي نسلك في جدة الحياة (رومية ٦: ٤).

كيف يحدث هذا التحوُّل؟

في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية نكتشف الوسيلة التي يتم بها هذا التحوُّل.

نحن مخلصين بالنعمة: «لأن أجرة الخطية هي الموت. وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ٢٣). الخلاص هو عطية؛ لهذا فان الخلاص هو بالنعمة. (أنظر أيضاً رومية ٣: ٢٤).

نحن مخلصين بالنعمة بالمسيح: يعطينا الله الحياة الأبدية «بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ٢٣). قال بولس: «ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب» (رومية ٥: ٨ و٩). لاحظ بان الله لم ينتظر حتى نكون صالحين لكي يخلصنا، بل: «ونحن بعد خطاة» بذل المسيح ليموت لأجلنا.

هكذا تم خلاصنا في المسيح يسوع وبه. تقول رومية ٦: ١١: «كذلك أنتم أيضاً أحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا». إذن، لا يوجد خلاص خارج المسيح.

بالإيمان نقبل خلاصنا: «فإذ قد تبررنا بالإيمان ...» (رومية ٥: ١). نقرأ في أفسس ٢: ٨ ما يلي: «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان».

ولكن يوضح الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية أيضاً باننا مخلصين بالإيمان بالطاعة. تأمل رومية ٦: ١٧ و١٨:

> فشكراً لله إنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر.

تعلم هاتين الآيتين بان الخلاص يأتي بعد الطاعة. قال بولس: «إنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم ... صورة التعليم ... وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر». الترتيب هنا كالآتي أولاً:نكون عبيدا للخطية؛ ثانياً:يكون إطاعة التعليم؛ ثالثاً:يحدث اعتاق {أي تحرير} من الخطية؛ رابعاً: عبيد للبر. خلص أهل روما بالإيمان، ولكنهم لم يخلصوا إلا عندما أطاعوا. لقد خلصوا بطاعة الإيمان (رومية ١: ٥؛ ١٦: ٢٦). خلصوا

بـ «الإيمان العامل بالمحبة» (غلاطية ٥: ٦).

ماذا أطاعوا؟ تقول رومية ٦: ١٧ بانهم أطاعوا «صورة التعليم» التي تسلموها. ماذا يعني ذلك؟ تعطي رومية ٦: ٣-٥ الإجابة لذلك:

> أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته.

يصور الإنجيل موت المسيح ودفنه وقيامته. كتب بولس قائلاً:

> وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه وتقيمون فيه، وبه أيضاً تخلصون، إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به، إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر (١ كور ١٥: ١-٥).

يخبرنا كتاب العهد الجديد أيضاً بانه ينبغي أن يُطاع الإنجيل (٢ تسالونيكي ١: ٨ و٩؛ ١ بطرس ٤: ١٧ و١٨؛ رومية ١٠: ١٦).

كيف يطيع الشخص الإنجيل الذي يصور موت ودفن وقيامة المسيح؟ الخبر هو: بالمعمودية! معموديتنا هي صورة موت المسيح ودفنه وقيامته. بل وأكثر من ذلك أيضاً: عندما نعتمد نشارك مع المسيح ونتحد معه بموته ودفنه وقيامته. عندما نعتمد، نعتمد بموت المسيح؛ نُدفن مع المسيح؛ ونقوم مع المسيح. لهذا عندما نعتمد، نطيع الإنجيل، ومن ثم نخلص - ليس قبل ذلك. المعمودية ضرورية للخلاص. «صورة التعليم» التي أطاعها أهل روما تشمل على المعمودية.

طبعاً المعمودية وحدها لا تخلص. تأتي المعمودية نتيجة الإيمان، وبدون إيمان لا معنى للمعمودية (كولوسي ٢: ١٢). تأتي التوبة قبل المعمودية ولا تعني شيئاً بدون التوبة (أعمال ٢: ٣٨؛ ١٧: ٣٠). المعمودية التي هي بلا إيمان وتوبة لا تخلص. وهكذا أيضاً الإيمان والتوبة لا يخلصان إن لم نرغب في المعمودية واطاعة الإنجيل.

ما هي نتائج هذا التحوُّل؟

يقدم الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية نتائج هذا التحوُّل.

يؤدي التحوُّل إلى حياة جديدة: قال بولس باننا نسلك «في جدة الحياة» (رومية ٦: ٤)، ونحن «أمواتاً عن الخطية» (رومية ٦: ١١). المفهوم الضمني هو عندما نصير مسيحيين، نولد ثانية كأبناء الله في أسرة الله.

يؤدي التحوُّل العظيم أو ينبغي أن يؤدي إلى حياة جديدة. ولكن إذا تغيرت حياة المسيحي أم لا فهذا يتوقف عليه نفسه.

أعطى بولس في هذا الأصحاح رداً على حُجّتين قد يفكر بهما سامعوه عند سماعهم ما قاله.

إحدى الحُجّتين التي توقعها بولس هي: ان كنا قد خلصنا بالنعمة، وإذا كانت النعمة تزداد حيث تكثر الخطية {رومية ٥: ٢٠}، أفيجب أن نخطيء أكثر لكي تكثر النعمة (رومية ٦: ١). القصد من ذلك التصريح ليس طلباً لارتكاب خطايا أكثر، بل ليظهروا بان اصرار بولس القائل باننا خلصنا بالنعمة وليس بالناموس هو كلام غير صحيح.

فرد بولس على هذه الحُجّة بما مضمونه: «لا، لأنه لا يتناسب لنا نحن الذين تحررنا من الخطية أن نعيش في الخطية في ما بعد». «نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟» (رومية ٦: ٢).

الحُجّة الثانية التي أجاب عليها بولس هي: إن لم نكن تحت الناموس كما أنتم تقولون {رومية ٦: ١٤}، فنحن متحررين من أية مسؤولية تجنب الخطية. «أنخطيء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟» (رومية ٦: ١٥). يجيب بولس ويقول: «كلا، لأن حريتنا تشمل على مسؤلية، وإذا استمرينا نخدم الخطية، فلا نكن أحرار بعد بل عبيدا للخطية».

ينبغي ان تقاوم العوة للخطية

لهذا فان الفكرة الرئيسية العملية في هذا الأصحاح هي أن يعيش المسيحي حياة جديدة.

قدم بولس عدة أسباب مقنعة لماذا يجب على المسيحي أن لا يخطيء، بل يحيا حياة جديدة: (١) لا يجب على المسيحي أن يخطيء لأنه قد حُرِّرَ من الخطية (رومية ٦: ٢ و٩-١١). نحن متحررين من ذنب وشهوات وقوة الخطية. طبعاً لا يمكننا الاستمرار في الخطية وبالتالي نعود إلى العبودية. (٢) لا يجب على المسيحي أن يخطيء لأنه يحيا حياة جديدة (رومية ٦: ٤). قد حدث التغيير، قد وُلِدَ من جديد. والحياة الجديدة تطلب معايير جَديدة. (٣) لا يجب على المسيحي أن يخطيء لأنه قد صار الآن خادم الله وعبده (رومية ٦: ١٨). لهذا يلزم عليه أن يخدم الله ويطيعه. (٤) لا يجب على المسيحي أن يخطيء لأنه سيهلك إذا اصبح يرتكب الخطية (رومية ٦: ٢١-٢٣).

الخلاصة

كيف إذن يجب على الشخص الذي تغيرت حياته أن يحيا؟ يُلخص هذا في صيغتي أمر:

أولاً: «إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته» (رومية ٦: ١٢؛ أنظر أيضاً ٦: ١٣). لدى المسيحي المقدرة علي ان يختار مَنْ الذي أو ما الذي يتحكم في حياته. ومهمته هي أن يتأكد بان الخطية لا تتحكم به. اسأل نفسك سؤالا جادا وحريصا وبضمير حي: «من أو ما الذي يتسلط على جسدي؟ هل يوجهني الرب؟ أم تتملكني الخطية وتحكم على أعمالي؟»

ثانياً: «... قدموا ذوتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر» (رومية ٦: ١٣؛ أنظر أيضاً ٦: ١٩). وسلبياً يجب أن نرفض دعوة الخطية. ولكن لا يكفي ذلك. ومن وجهة النظر الإيجابي، علينا أن نكرس حياتنا برمتها للرب. الترنيمة الإنجليزية «خذ حياتي وأجعلها» توضح هذا بصورة جيدة:

خذ حياتي وكرسها لك يا ربي،
خذ يديّ وحركهما بمحبتك الدافعة.

خذ إرادتي واجعلها إرادتك،
ولن تكون إرادتي بعد
خذ قلبي، فهو لك،
يجب أن يكون عرشك
الذي تملك عيله.

خذ محبتي يا ربي
اسكب مخزونها عند قدميك
خذني لأكون أبداً لك وحدك.

إذا قاد التحول العظيم إلى حياة جديدة، فسيقود في آخر المطاف إلى حياة أبدية. تقول رومية ٦: ٢٣: «لأن أجرة الخطية هي موت. وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا». الحياة الأبدية هي عطية، تُعطى بالنعمة. ولكن إذا رفض المسيحي أن يغير حياته ورجع إلى العالم، تكون النتيجة المحتومة هي الموت (أنظر ٢ بطرس ٢: ٢٠).

هل استغنيت عن نفسك القديمة؟ لعلك تحاول تحسين نفسك. فهل قرأت كتب تحسين النفس؟ هل قمت بمحاولات لخلق «صورة جديدة»؟ أو طريقة حياة أفضل، ونظام تغذية صحية أفضل، وتمارين رياضية؟ وربما أيضاً تغيرات جسدية؟

ما تحتاج إليه هو التحوُّل عوضاً عن عملية التجميل الجراحية! تخلي عن نفسك القديمة وكن «إنساناً جديداً» في المسيح! آمن بيسوع، وتُب عن خطاياك، وأعتمد بالمسيح لمغفرة الخطايا! فستصير إنساناً جديداً، وتكون حياً عوضاً عن ميتاً، وعبداً للبر عوضاً عن عبداً للخطية، مولوداً ثانياً، وابناً في أسرة الله. وبهذا تحيا الحياة التي يطلبها ربك، وستكون مكافأتك حياة أبدية، مكاناً في السماء مع الله إلى الأبد!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧